٦٩ - انقاذ غريق

... بلغنا شاطئ النّهر ، فراعنا أن رأينا هنالك جمعاً عظيماً من الناس يتدفّع فوق الشّاطىء الآخر تدفّع الموج المتواكب ويشير الى الماء بأصابعه وينادي : « النجدة ! النجدة ! » فالتفتنا حيث أشاروا، فاذا رجل بين معترك الأمواج يصارع الموت والموت يصرعه ويغالب القضاء والقضاء يغلبه ويطفو تارة فيمدّ يده الى النّاس فلا يجد يداً تمتدّ اليه، ويرسب أخرى حتّى تنبسط فوقه صفحة النّهر فنحسبه من الهالكين .

وما زال يتخبط ويتشبّث ويظهر ثم يختفي ويتحرّك ثم يسكن حتّى كلّ ساعده ووهت قوّته ... ولم يبق بين أعيننا منه إلاّ رأس يضطرب ويد تختلج . فبكى الباكون وأعول المعولون ونظر النّاس بعضهم الى بعض ...

وانهم لكذلك اذا رجل عار يدفع الجمع بمنكبيه ويمرّ بين الناسّ مرّ السهم الى الهدف حتّى اندفع الى النّهر وسبح حيث هبط الغريق فهبط وراءه .

وما هي الاّ نظرة والتفاتة أن انفرج الماء عنهما فاذا هما صاعدان وقد أمسك الرّجل بذراع الغريق . فكبّر الناس اعجاباً بهمة المخلص وفرحاً بنجاة الغريق .

المنفلوطي